

تفسير البحر المحيط

@ 121 @ من أخلاق الجاهلين ، وضعف بأنه تعالى قد أمره بالصبر في آيات كثيرة ومع أمر
□ له بالصبر وبيان أنه خير يبعد أن يوصف بعد صبره بقلة الصبر . .
وقيل : لا يشتد حزنك لأجل كفرهم فتقارب حال الجاهل بأحكام □ وقدره ، وقد صرح بهذا في
قوله : { فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ } وقال قوم : جاز هذا الخطاب لأنه
لقربه من □ ومكانته عنده كان ذلك حملاً عليه كما يحمل العاقل على قريبه فوق ما يحمله
على الأجانب ، خشية عليه من تخصيص الإذلال . .
وقال مكي والمهدوي : الخطاب له والمراد به أمته ، وتمم هذا القول بأنه كان يحزنه
إصرار بعضهم على الكفر وحرمانهم ثمرات الإيمان . .
قال ابن عطية : وهذا ضعيف لا يقتضيه اللفظ : انتهى . .
وقيل : الرسول معصوم من الجهل والشك بلا خلاف ، ولكن العصمة لا تمنع الامتحان بالأمر
والنهي ، أو لأن ضيق صدره وكثرة حزنه من الجبلات البشرية ، وهي لا ترفعها العصمة بدليل :
(اللهم إني بشر وإني أغضب كما يغضب البشر) الحديث . وقوله : (إنما أنا بشر فإذا
نسيت فذكروني) انتهى . .
والذي أختاره أن هذا الخطاب ليس للرسول ، وذلك أنه تعالى قال : { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَجَمَعَهُمُ عَلَى الْهُدَى } فهذا إخبار وعقد كلي أنه لا يقع في الوجوه إلا ما شاء
وقوعه ، ولا يختص هذا الإخبار بهذا الخطاب بالرسول بل الرسول عالم بمضمون هذا الإخبار ،
فإنما ذلك للسامع فالخطاب والنهي في { فَلَا تَكُونَنَّ } للسامع دون الرسول فكأنه قيل
: ولو شاء □ أيها السامع الذي لا يعلم أن ما وقع في الوجود يمشيئة □ جمعهم على الهدى
لجمعهم عليه ، فلا تكونن أيها السامع من الجاهلين بأن ما شاء □ إيقاعه وقع ، وأن
الكائنات معذوقة بإرادته . .
2 ({ إِنَّ زَنْمًا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ
اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * وَقَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ
مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِن
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الرَّضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ
ثُمَّ إِلَيْ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُومٌ
وَبُكُومٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَاءِ اللَّهُ يَجْعَلْهُ

عَلَي صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ
 أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ
 يَدْعَاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا
 تُشْرِكُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَا هُمُ
 بِالْأَسْبَاطِ سَاءَ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْ لَا إِذْ جَاءَهُمْ
 بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَ لَآكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ
 أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِِمَا أُوتُوا أَخَذْنَا هُمُ بِغَتَّةٍ
 فَإِذَا هُمْ مَّيْلَسُونَ * فَفَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ
 سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلهٍ غَيْرُ اللَّهِ
 يَأْتِيَكُم بِهِ إِنَّظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَشْيَاءَ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هُمْ
 يَدْعُونَ أَتَدْعُونَ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بِغَتَّةٍ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ
 إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ
 وَمُنذِرِينَ